

**Similarities and differences in two works of Ivan Bunin  
(The Village) and Faris Zarzour (The Sinners)  
(A Comparative study)**

**Dr. Eid Mahmoud\***  
**Dalal Souliman Mahmoud\*\***

(Received 2 / 2 / 2022. Accepted 3 / 3 / 2022)

□ **ABSTRACT** □

This study deals with revealing the points of similarity and difference between two literary works, Russian and Syrian, by writers Ivan Bunin and Faris Zarzour. who presented two works that refer to a period of time full of turmoil, which left a clear mark on literature in general, and the novel in particular, as the topics that occupied the minds of writers converged, including (Bunin) and (Zarzour), The village and the problems of life in it were the most present in literature at the time. The writers dealt with social issues within their class-divided societies, and they depicted human suffering under those circumstances. Various ideological conflicts were also reflected in these works. The writers presented ideas that touched life, touching on the human view of the universe and the reality and purpose of existence. Their works were characterized by realism, because it is the approach closest to writers to express the issues of their societies, as well as the convergence of artistic methods through which writers presented their greatest literary productions.

**Keywords:** village, sinners, comparison, Bunin, Zarzour.

---

\*Professor, Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria. [Eid.hmahmoud190@gmail.com](mailto:Eid.hmahmoud190@gmail.com)

\*\* Master's Student, Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria. [Dalalmahmoud16@gmail.com](mailto:Dalalmahmoud16@gmail.com)

## التشابه والاختلاف في عملي إيفان بونين (القرية)، وفارس زررور (المذنبون) (دراسة مقارنة)

د. عيد محمود\*

دلال سليمان محمود\*\*

(تاريخ الإيداع 2 / 2 / 2022. قبل للنشر في 3 / 3 / 2022)

### □ ملخص □

تتناول هذه الدراسة الكشف عن نقاط التشابه والاختلاف بين عملي أدبيين، روسي وسوري، للأدبيين: إيفان بونين، وفارس زررور، اللذين قدما عمليين يشيران إلى فترة زمنية تعج بالاضطرابات، التي تركت أثراً واضحاً في الأدب بشكل عام، والرواية بشكل خاص، إذ تقاربت الموضوعات التي شغلت بال الأدباء والفنانين ومنهم (بونين) و(زررور)، وكانت القرية ومشكلات الحياة فيها، الأكثر حضوراً في الأدب آنذاك، فعالج الأدباء القضايا الاجتماعية ضمن مجتمعاتهم المنقسمة طبقياً، وصوروا معاناة الإنسان في ظل تلك الظروف، كما انعكست من خلال هذه الأعمال صراعات إيديولوجية متنوعة، فقدم الكتاب الأفكار التي لامست الحياة آنذاك، منطرقين إلى نظرة الإنسان للكون وحقيقة الوجود وغايته، فاتسمت أعمالهم بالواقعية، لأنها المنهج الأقرب إلى الأدباء حتى يعبروا من خلالها عن وقضايا مجتمعاتهم، وكذلك تقاربت الأساليب الفنية التي قدم من خلالها الكتاب أعظم إنتاجاتهم الأدبية.

الكلمات المفتاحية: القرية، المذنبون، مقارنة، بونين، زررور.

\* أستاذ ، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية. [Eid.hmahmoud190@gmail.com](mailto:Eid.hmahmoud190@gmail.com)

\*\* طالبة ماجستير ، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية. [Dalalmahmoud16@gmail.com](mailto:Dalalmahmoud16@gmail.com)

## مقدمة

يعدّ موضوع الضيعة (القرية) من أهمّ الموضوعات التي نهل منها الأديباء مادّةً غنيّةً ومنتوّعةً لمداد أقلامهم الإبداعية، فتغنّوا بجمال طبيعتها، وتفاخروا بصفاء ناسها، وثمّنوا عالياً علاقات أهلها ونظراتهم إلى الحياة والإنسان والعلاقات الاجتماعية فيها، ولم يغفلوا عن تصوير ما فيها من مفردات سلبية ضاغطة، ولدت في أنفسهم نزعةً تدعو إلى حياة أفضل.

وما روايتا كلّ من إيفان بونين ( القرية)، وفارس زرزور (المدنبون)، إلا من الأعمال التي تجد الضيعة صداها فيهما.

## أهمية البحث وأهدافه

إنّ أهمية هذا البحث تكمن في محاولته الجمع بين عمليّن من أعمال كاتبين في دراسة لم نقف على نظيرتها في الأعمال النقدية والتطبيقية السابقة. وهذا هو جديد البحث، الذي يشكل ميزةً إيجابيةً من جهة، ويخلف نوعاً من الصعوبة في إيجاد دراسات مقارنة مختصة في الموضوع .

**المنهج:** يقف البحث على ما في أعمال هذين الكاتبين من قضايا جامعة، أو فارقة تخصّ موضوع الضيعة، مستفيداً في ذلك من المنهج الأدبيّ المقارن، الذي يفرض نفسه في مثل هذه الدراسات التي تهتمّ بأداب تنتمي إلى قوميات مختلفة، باعدت بينها المسافات الزمانية والمكانية، وفرقتها اللغات وقاربت بينها قضايا إنسانية عامّة .

## التعريف بالكاتبين:

1- **إيفان بونين:** أديب روسي، ولد إيفان أليكسييفيتش بونين في أسرة من النبلاء الذين حلّ بهم الفقر، بدأ كتابة الشعر في سن المراهقة، متأثراً بالشاعرين الكبيرين (ليرمانتوف، وبوشكن)، كان بونين يسعى إلى التصوير الواقعي في أشعاره، متمسكاً بتقاليد الكلاسيكية القديمة في بداياته، ثم شرع في بداية تسعينات القرن التاسع عشر يكتب القصة، معالجاً القضايا الاجتماعية، فعبر من خلالها عن موقفه السلبي الحاد من الرأسمالية، وأظهر قدرة عالية على تصوير حياة القرية المعاصرة له، فدافع عن المنتمين للقاع الاجتماعي، وفي ذروة نشاط الحركة الثورية عام 1905، سافر بونين خارج البلاد، وظهر تأثير (غوركي) في أعماله الإبداعية بعد إخفاق الثورة الروسية الأولى، وظهرت آنذاك روايته (القرية) عام 1910، التي حققت له شهرة واسعة، ولاقت صدى كبيراً في أوساط النقاد، ثم صدرت له مجموعة قصصية تدور حول الحياة الفلاحية، 1913- 1922، فقدّم فيها صورة الفلاح المستسلم لقره، ويعد الدارسون رواية (سيد من سان فرانسيسكو) قمة إبداعاته النثرية. كما ترجم أعمالاً متعددة لكبار الشعراء بدقة عالية المستوى، هاجر فيما بعد إلى فرنسا عام 1920، واتسمت أعماله التي أصدرها في المغرب بالتقاليد الواقعية للأدب الروسي، وحققت روايتا (غرام ميتا) و(حياة أرسينييف) شهرة كبيرة، كما نال عنها جائزة نوبل للأدب عام 1933، لما لها من أهمية فنية، وفي الاعوام الأخيرة تضمنت أعماله صوراً ساطعة للحياة، ونماذج من التحليل النفسي العميق للطبائع الإنسانية.

توفي بونين في باريس عام 1953، واستحدثت روسيا الاتحادية في أيلول عام 2004 جائزة بونين الأدبية تكريماً لذكراه<sup>1</sup>

<sup>1</sup> ينظر: القرية: إيفان أليكسييفيتش بونين، تر: د.فؤاد مرعي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ط1،

2- فارس زرزور: كاتب وأديب سوري، ولد في عام 1927م، في دمشق، وتوفي فيها عام 2003م<sup>1</sup>، وهو عضو في اتحاد الكتاب العرب، قدم العديد من الأعمال الأدبية، القصصية والروائية، مستوحياً مضمونها من الواقع المحيط به، فعالج قضايا المجتمع مجسداً رؤيته الفكرية إزاءها، اتسمت معظم أعماله بالواقعية، ومن أبرزها في مجال القصة: (حتى القطرة الأخيرة)، و(أبانا الذي في الأرض)، وفي مجال الروايات (الأشقياء والسادة)، و(الحفاة وخفي حنين)، و(المذنبون) التي عدّها النقاد باكورة الأعمال الواقعية في سوريا، فهي تدور حول معاناة الفلاح في القرية السورية في خمسينيات القرن العشرين، وتصور "سقوط إنسانيته ضحية قسوة الطبيعة وضرارة الإقطاع، وإهمال الحكومة".<sup>2</sup>، وكذلك رواية (حسن جبل)، التي تعد رواية تسجيلية لنضال الشعب السوري ضد المحتل الفرنسي، ورواية (لن تسقط المدينة) التي تدور أحداثها حول معركة ميسلون، كما ألف (زرزور) كتاب (معارك الحرية في سورية)، الذي تحدث فيه عن تفاصيل الثورات السورية ضد الاستعمار .

### ملخص الروايتين:

#### 1- ملخص رواية " القرية " لإيفان بونين:

تدور الأحداث في قرية (دورنوفكا) الروسية، التي تشهد صراعاً طبقياً حاداً بين الإقطاعيين والفلاحين، تبدأ الرواية من خلال عرض سريع لتاريخ أسرة (كراسوف)، ثم ينتقل الكاتب إلى عرض حياة (تيخون) و(كوزما) اللذين عملا أجبرين، وبائعين متجولين، ثم افترقا نتيجة خلاف بينهما، فعمل (كوزما) في رعي الماشية، بينما عمل (تيخون إيليتش) في التجارة، ففتح دكاناً للتهريب وخمارة. وهو رجل قارب الأربعين، أسمر اللون، صارم الوجه، عريض المنكبين، ومتمسك في حديثه، يتابع كل ما يجري في القرية، ويشترى من الإقطاعيين في الأوقات الخريفية الصماء، ويحتكر كما يحتكر التجار. تزوج (تيخون) مرات عدة، لكن زواجه كان دائماً ينتهي بمأساة، زوجته الأخيرة (ناستاسيا بتروفنا) ينتهي حملها دائماً بولادة بنات ميتات! وكان (تيخون) محط أنظار أهالي القرية، واندماشهم، لقدرته على فعل كل ما يريد دون أن ينهار، فهو يبيع ويشترى ويساوم، ويطوف على أملاكه كل يوم تقريباً، ولا يقبل أن يتنازل عن أي شبر منها، كما كان صارماً وحاداً مع عماله، فلا يتساهل معهم في تقصيرهم في العمل، ولا مع زبائنه في الدكان، ويتابع أعماله مراقباً الفلاحين، مستنكراً تقاعسهم، ويحس أن أهم ما في العالم هو العمل فقد كان يرى أن حياته ليست إلا أعمالاً شاقة. كانت الحياة تسير بشكل روتيني، غير أن أخبار أحداث الثورة، وحرب اليابان، بدأت تتردد بين العامة، وكانت هزائم الجيش الروسي تثير فيه إعجاباً مقروناً بالشماتة، لكن في الوقت نفسه لم يكن يقف منها موقفاً واضحاً، فالحقد يستيقظ في قلبه كلما دار الحديث عن نزع ملكية الأراضي من الإقطاعيين وتوزيعها على الفلاحين، وتارة أخرى يكون محرصاً للفلاحين للمطالبة بنيل حقوقهم وتسوية ملكيات الأراضي، وكذلك يتملكه القلق إزاء أخبار العصيان في (دورنوفكا). فقد انتفض الفلاحون في يوم واحد، وبدأ الإقطاعيون يبحثون عن الحماية عند السلطات.

كانت الشائعات عن رغبة الدورنوفيين بقتل (تيخون) تثير مخاوفه، وهذا ما دفعه إلى استئجار (رودكا) وزوجته (مولودايا) لأن (رودكا) جندي يمكن له أن يحميه، لكن سوء معاملة (رودكا) لزوجته الجميلة كانت تثير الرغبة لدى

<sup>1</sup> ينظر: فارس زرزور، العصيان والهجرة المضادة: عبد الرحمن الحلبي، الأمانة لعامة لاحتفالية دمشق عاصمة الثقافة العربية، دمشق، سورية، 2008، ص15.

<sup>2</sup> : الريف في الرواية العربية: محمد حسن عبدالله، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 143، الكويت، 1989، ص65.

(تيخون) في قتله والتخلص منه، ومع ازدياد قلقه وضغط العمل قرر أن يجد معينا يمكنه إدارة الأعمال في (دورنوفكا)، فقرر أن يتصالح مع أخيه (كوزما)، ويقنعه بإدارة القرية .

تبدو الفروقات بين الأخوين واضحة تماماً ف(كوزما)، نحيل، فوضوي، يحب القراءة وكتابة الشعر، ولا يجد معنى وراء السعي والكسب، كما أنه كثير الانتقاد للعادات البالية ويرى أنها سبب تخلف الشعب وفقره، وكذلك انتقد المعتقدات الدينية السائدة لدى عامة الشعب، فالناس لا تلجأ للعبادة إلا عند الحاجة !.

كانت معاناة (مولودايا) تثير الحزن والإحساس بالذنب في نفس (تيخون)، فقرر أن يساعد (دينيسكا) الرديء على إيجاد عمل، وتأمين حياة جيدة، وتزويجه من (مولودايا).

القسم الثاني من الرواية يعرض حياة (كوزما إيليتش)، فقد أقبل على قراءة الكتب التي كان يهديه إياها العجوز (بالاشكين)، الذي كان يشجع (كوزما) على الكتابة والنشر في الجرائد، إلا أن بداياته كانت ضعيفة وهزيلة مما جعل منه محط سخريه، فاضطر إلى الكتابة وفق ما يرضى الذوق البازاري. وحاول عبثاً أن يستأجر حديقه ليعمل بها، لكنه فشل في ذلك، فعاد خائباً، يجول في الشوارع وكانت تراوده فكرة الانتحار، وبينما هو على هذه الحال تلقى رسالة من (تيخون)، يدعوها فيها إلى مساعدته في إدارة (دورنوفكا).

القسم الأخير من الرواية يعرض الأحداث التي دارت في القرية بعد اجتماع الأخوين، إذ لبي (كوزما) دعوة أخيه، وعند وصوله إلى المنزل خفق قلبه فرحاً، وراح يتأقلم مع ما حوله، إلا أن فرحه هذا لم يدم طويلاً، فالخريف كان على الأبواب، فصار يقضي معظم نهاره جالساً عند النافذة، يقرأ الصحف ويدون ذكرياته، ولم يكن يزور أخاه إلا نادراً، أما (تيخون)، فكان لا يأتي إليه إلا إذا كان مزاجه معكراً. ما زاد شعوره بالوحدة والعزلة، وكان يحزن بسبب قسوة أخيه (تيخون)، الذي باتت تصرفاته حازمة مع الجميع، وكثيراً ما كان يستهزئ بأفكاره وأقواله، وقد كان عاجزاً عن فهم تصرفات أخيه التي بدت له أفكاراً مجنونة ومتناقضة، فعلى الرغم من تعلقه الشديد ب(مولودايا)، إلا أنه يسعى بنفسه إلى تزويجها من الأحق (دينيسكا)، وعلى الرغم من رفضه الشديد التنازل عن أي شبرٍ من أملاكه، إلا أنه يسعى الآن إلى بيع (دورنوفكا) والانتقال إلى المدينة!! تم التحضير لزفاف (مولودايا) و(دينيسكا)، وقد حاول (كوزما) أن يقتنعها بتغيير رأيها، لكنه أخفق، فالزواج أفضل عندها من البقاء في الشارع، فودع (كوزما) (مولودايا) بتألم الأب، وغادر العروسان في المساء تحت الثلج الذي هطل بغزارة، وعاد الجميع إلى منازلهم، بينما كانت زوجة (كراسني) تصرخ في وجه الريح بصوت شرير: " لطير الحمام الأزرق.. رأس ذهبية "<sup>1</sup>

## 2- ملخص رواية (المذنبون) لفارس زررور:

تدور أحداث الرواية في قرية (الصيرة) التابعة لقضاء (ازرع)، في منطقة منخفضة، وعرة، تحيط بها السهول من ثلاث جهات، يجابه فيها الفلاحون شظف العيش، وقسوة الطبيعة التي تحرم البشر من عطائها وخيراتها، فلا سماء تمطر، ولا أرض تنبت، ولا بشر يرحمون بعضهم، مشاهد مليئة بالقسوة والمعاناة والصراع بين الفلاح والإقطاعي يقدمها الكاتبة من خلال شخصيات الروائية، التي تواجه مصيرها المحتوم، أو تستسلم له، من خلال أسرة صغيرة مكونة من أم عمياء، وابنها (جدعان) الذي يتحمل مسؤولية الأسرة منذ طفولته، بعد وفاة والده، وآخر أفراد الأسرة، الابنة الشابة الصغيرة (فرحة)، التي لم يتسن لها أن تحمل شيئاً من معنى اسمها؛ فقد كانت حياتها خالية من المشاعر، محرومة من العطف والاهتمام الأسري، فنشأت مع لامبالاة باردة شديدة، إذ لا يمكن لأي حدث كان أن يلفت انتباهها، أو يحرك

<sup>1</sup> : القرية: بونين، تر: د. فؤاد مرعي، ص246.

فيها شعوراً ما، فهي تعيش حياتها في قناعةٍ تامةٍ أن أباها هو مالكها، وأن مصيرها بيده، وأنه سيزوجها يوماً ما ويقبض ثمنها، وعلى هذا النحو كانت تسير حياة هذه الأسرة بهدوء، إلى أن طرح عمهم (صالح الذياب) أن يزوج (فرحة) لابنه (قاسم)، بالمبادلة مع ابنته (فهدة) ليزوجها ل(جدعان)، وتبدأ معها المشكلات التي راحت (فرحة) تحت وطأتها، وبدأت معها مكائد زوجات (صالح الذياب)، كما ساءت الحالة النفسية والصحية ل(صالح) وتكشفت عقده النفسية، وبدأت معها ملامح انفصام في شخصيته، كما قدم الكاتب صوراً متعددةً لصراع الرؤى والأفكار بين رجال الدين والمتدينين والمشعوذين، الذين يستغلون جهل أهل القرية ويسخرون الدين لمصالحهم الشخصية، وصور الصراع بين الفلاحين والإقطاعيين الذين استغلوا أيضاً فقر الفلاحين وسيطروا على أراضيهم بسندات مقابل البذار وغيرها، وتشكل هذه النقطة القضية الرئيسية التي تدور حولها الرواية، فالجميع يسعى لتحرير أرضه من رهن البيك، وينتظرون رحمة السماء وعطاءها، ويقومون صلاة استسقاء حتى يغفر الله ذنوبهم ويمن عليهم بالمطر، إلا أن السماء لم تستجب لندائهم، ما اضطرهم أن يغادروا قريتهم نحو المدينة باحثين عن سبل أخرى للرزق والحياة حتى ينفذوا أراضيهم من مخالب البيك، وفي إطار هذه الأحداث يشير الكاتب إلى علاقة الفلاح، وأهل القرى بالبدو، ليقدم صورة متكاملة للحياة في القرية، ومعاناة سكانها، كما رسم صورة المعاناة من النظرة الدونية التي يشعر بها الفلاح في المدينة، فترسم من خلال الأحداث لوحة متكاملة للقرية بعلاقاتها المتنوعة مع المدينة والبادية، موضحاً علاقة الفلاح بالأرض، والبشر، مبدياً موقفه من معاناة الإنسان في تلك الفترة التي تعج بالاضطرابات السياسية التي انتهت بتولي الشيشكلي السلطة، وأمل السكان بتحسين الأحوال، وانتظار الأمل!

أوجه التشابه والاختلاف الفكري:

أ- نقاط التشابه الفكري:

تعد رواية (القرية) ل(إيفان بونين) من أبرز الأعمال التي تتناول الحياة الاجتماعية في القرية الروسية، وكذلك قدم (فارس زرزور) في رواية (المذنبون) صورة للقرية السورية والحياة الاجتماعية فيها، وقد جسد الكاتبان تفاصيل المعاناة التي يتكبدتها الفلاح في ظل ظروف قاهرة، فيقدمان صورة الصراع الاجتماعي التي تتبدى في جوانب متنوعة؛ ومنها صور الصراعات المسيطرة على الجانب الاجتماعي:

**1- الصراع الطبقي:** تتجسد مشاهد انقسام المجتمع إلى طبقتين، طبقة الفلاحين وطبقة الإقطاعيين، في الروايتين، وتظهر ملامح الصراع بينهما في نواحٍ متعددة، فالسيد الإقطاعي يتحكم بمفاصل الحياة كافة، وينظر بتعالٍ واحتقارٍ إلى الفلاح، الذي تزداد معاناته الحياتية، فيسعى للتخلص من نير هذا المستغل الذي لا يعرف الرحمة، ولا يسعى لغير مصالحه الشخصية، وظهر في مشاهد تخلو من الرحمة، ف(تيخون) يمثل رجلاً إقطاعياً يملك أغلب أراضي (دورنوفكا)، ويدرك مدى كره الفلاحين له لسوء معاملته لهم، "أتظن أنهم ما كانوا ليقتلونني شر قتلة لو استطاعوا، -لو حالهم الحظ في هذه الثورة؟ انتظر، انتظر، -ستحدث أمور كثيرة، ستحدث! لقد ذبحناهم!"<sup>1</sup>، وكذلك قدم (زرزور) صورة الإقطاعي الذي لا يحمل في قلبه شفقة أو رافة بحال الفلاحين؛ بل يسعى لاقتلاعهم من أرضهم.

**2- الصراع الفكري:** تتباين الرؤى والأفكار التي تؤمن بها الشخصيات في الروايتين، مما يجعلها تعيش حالة صراع وتتناقض من ناحية معتقداتها، وقد قدم (بونين) صورة هذا الصراع من خلال صورة الأخوين (تيخون) و(كوزما)، إذ يبدو (تيخون) شخصية أكثر التصاقاً بالعمل، والسعي لكسب المال، ولا يعمل عقله في غير أمور التجارة، ويردد ما

<sup>1</sup> : القرية: بونين، تر: د. فؤاد مرعي، ص 230.

حفظه من أمور الدين من دون تفكير، بينما (كوزما) شخصية تحب القراءة والتعلم، ويدعو دائماً إلى عدم تصديق ما ينافيه العقل والمنطق، "هز كوزما رأسه، وقال بصرامة: تقول ما اعتدت قوله! ولكن توقف وفكر: كيف يحدث ذلك؟ عشت، عشت خنزيراً طول حياتك، ثم تنهدت فانتهى كل شيء، كأنما يد سحرية مسحته! هل في هذا معنى أو لا؟"<sup>1</sup>. وكذلك في رواية (المذنبون)، تتصارع ثنائيات فكرية متنوعة كالعلم والجهل، من خلال شخصيات عديدة ومنها (المعلم) والمشعوذ(محمد الفقير).

**3- الصراع النفسي:** يتجسد من خلال صراع الشخصية مع رغباتها المكبوتة، وقد تمثلت في رواية (القرية) صور عديدة لهذا الصراع؛ ومنها ما تعانيه زوجة (تيخون)، التي تبدو قوية نشيطة نهاراً، لكنها تكبت ألمها وحزنها لعدم قدرتها على الإنجاب، فتبكي وتتضرع إلى الله ليلاً، وكذلك (تيخون) الذي عاش صراعاً بين نفسه ورغباته في الحظي بالصبي(مولودايا)، وتسببه بالكوارث التي حلت على رأسها، فراح يسعى لترويجها حتى يتخلص من إحساسه بالذنب تجاهها، أما في رواية (المذنبون)؛ فقد تجسد الصراع النفسي في صور أكثر وضوحاً وتركيزاً، فرسم الكاتب صوراً متنوعة للمعاناة النفسية لشخصياته، وأشدها بدا في شخصية (صالح الذياب)، الذي تفجرت مشاعره المكبوتة من زمن مراهقته، عندما فشل في الوصول إلى ابنة السيد الذي كان يعمل لديه، واحتقرته، فظهرت هذه العقدة على هيئة انفصام في شخصيته بعد سقوط ابنة أخيه عليه، فتحركت تلك المشاعر الدفينة، وانتهت به بشكل مزير، فكان يحدث نفسه، ويجلد ذاته بالسوط، محاسباً نفسه على ذنوبه وأخطائه.

**4- الصراع مع الطبيعة:** تظهر الطبيعة قاسية، ومعادية للإنسان في الروايتين، فالطبيعة الروسية شديدة البرودة، كثيرة الأمطار والثلوج، تمنع المرء من إنجاز أعماله وتعوق سعيه للحصول على لقمة عيشه، "الحقول المفلوجة والمزروعة بالموسم الشتوية، الممتدة على مد البصر حول دورنوفكا، والسحب المتراكضة فوقها بلا نهاية، كل ذلك كان يضني القلب حقداً على هذه البلاد الملعونة، حيث تستمر العواصف الثلجية ثمانية أشهر في السنة، وتهطل الأمطار في الأشهر الأربعة الباقية"<sup>2</sup>. وكذلك الطبيعة في رواية (المذنبون) فقد بدت معادية للإنسان، فهي قاسية في ظروفها، وتحول بينه وبين حصوله على لقمة عيشه، "فها هو فصل الشتاء يزحف كالثعبان المرعب الذي لا يبشر بالخير. غريب هذا الفصل الذي أطل برأسه فجأة دون أن يحدث ضجة أو علامة تنبئ عن قدومه، فلا ريح ولا رعد ولا قطرة ماء. حتى أن أبسط صفة من صفاته كانت معدومة وهي البرد. فالأربعينية هلت منذ يومين، ولا يزال الهواء -هواء الخريف الدافئ يكنس الأعشاب اليابسة ويخلف التراب من تحته ظمآن جافاً"<sup>3</sup>.

**5- الصراع السياسي:** ويتمثل في الروايتين من خلال صراع الإنسان مع السلطة، أو مع عدو خارجي، وشكلت السلطة في رواية (القرية) صورة المعادي لرغبات (تيخون)، فقد أصدرت الأوامر بنزع ملكيات الإقطاعيين عن الأراضي وتوزيعها على الفلاحين، ما جعلها في موقع عداوة مع الطبقة الإقطاعية، وكذلك من خلال صورة صراع الدولة الروسية مع اليابان والأترك، في حروبها الخارجية، "سيسلخ القوقازي جلد الأصفر قريباً يا أخ"<sup>4</sup>. وتجلي هذا الصراع في رواية (المذنبون) من خلال صورة الدرك الذين يجلدون الفلاح، ويعاقبونه، بينما يحترمون الغني ويقدرونه، وكذلك في إشارة

<sup>1</sup> : القرية: بونين، تر: د. فؤاد مرعي، ص 63.

<sup>2</sup> : المصدر السابق، ص 196.

<sup>3</sup> : المذنبون: فارس زرور، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1974، ص 7.

<sup>4</sup> : القرية: بونين، تر: د. فؤاد مرعي، ص 45.

الكاتب إلى الانقلاب العسكري الذي وصل على إثره (الشيشكلي) إلى السلطة، ويرتبط هذا الصراع بصورة الأنا والآخر، ويتجلى في مواقف كثيرة في الروايتين.

**2- صورة المرأة:** تبدو المرأة سنداً ومعيناً للرجل في مجتمع القرية الفلاحي، فيقدم الكاتبان صورة المرأة العاملة التي تتحمل قسوة الحياة مع زوجها، من خلال (ناستاسيا) زوجة (تيخون)، التي تعمل معه في الدكان، وتدير شؤونها، و(فهدة) زوجة (جدعان) التي تتحمل عبئاً إضافياً فوق إعاقتها التي تعاني منها، ومع ذلك تسانده في أعمال الأرض، وفي الاهتمام بأخته عند مرضها، وفي رعاية أمه العمياء، وترتسم صور المعاناة الجسدية والنفسية للمرأة في العملين كليهما، ف(ناستاسيا) تعاني من حرمانها من الأولاد، لكنها لا تشكي، وكذلك (فرحة) و(فهدة)، كما صور الكاتبان ملامح الاستلاب الذي تعاني منه المرأة في المجتمعين، فهي محرومة من أبسط حقوقها وحرمتها، فتبدو محرومة من المشاعر، مملوكة من قبل الآخر (الرجل)، ترضخ تحت سلطة العادات والتقاليد في المجتمع، حاملة بتحسين الأحوال.<sup>1</sup>

#### ب- نقاط الاختلاف الفكري :

**1- في الجانب الاجتماعي:** تتجلى نقاط الاختلاف في العادات والتقاليد في القرية الروسية عنها في القرية السورية، ومنها ما يتعلق بطقوس الزفاف، فزفاف (مولودايا) جرى وفقاً للطقوس المسيحية، في الكنيسة، مع ما يتبعها من عادات كحمل الشموع وتوديع الوالد، ومجيء القسيس، أما في عرس (فرحة) فاكتفى الحاضرون بطلب الصبية من أخيها، وقراءة الفاتحة، والانتقال إلى منزل العريس والاحتفال وعقد الدبكة والغناء.

وتتجسد الفروقات في هذا الجانب من خلال الصراعات الآتية:

**1-1: صراع الإنسان مع الطبيعة:** ثمة اختلاف في هيئة هذا الصراع، فالطبيعة الروسية شديدة البرودة، كثيرة الأمطار، إلا أنها لا تغل لأهلها ثمار جهدهم، وتراكم الثلوج يحول دون إتمام الفلاحين لأعمالهم، أما في القرية السورية، فالجفاف والحرمان من الأمطار يشكل صورة نقيضة لما رسمه الكاتب الروسي من أوجه المعاناة والصراع مع طبيعة بلاده.

**1-2: الصراع السياسي:** بدأ الصراع السياسي في صورة شمولية متنوعة أكثر لدى (بونين) من الصراع السياسي الذي قدمه (زرزور)، فقد رسم (بونين) صورة صراع الإقطاعي مع الشعب ثم مع الحكومة التي تصادر ممتلكات الإقطاعيين، وصورة صراع الدولة الروسية مع عدوها الخارجي، الياباني والتركي، مصوراً مشاعر الشخصية المتباينة في كل منها، بينما رسم (زرزور) صورة صراع سياسي متمثل في صراع الفلاح مع الدرك الذي يساند الإقطاعي، ويسلبون الفلاحين أراضيهم، وكذلك أشار إلى حالة الانقلابات العسكرية التي كانت تجري في البلاد آنذاك، مشيراً إلى بعد الفلاحين عن هذه الصراعات، التي تمر بجانب الفلاح ولا تؤثر في تغيير حاله المزريه. "وقالوا في قرية الصيرة، أن الشيشكلي أصبح ملكاً على الشام"<sup>2</sup>.

**2- الهجرة من القرية إلى المدينة:** صور كل من الكاتبين حالة الإحباط وفقدان الأمل من تحسن الأحوال في القرية، ما دفع السكان للرحيل نحو المدينة، ومع أن مشهد الرحيل يشكّل نقطة تشابه والتقاء لدى (بونين) و(زرزور)؛ إلا أن السبب المباشر لاتخاذ هذا القرار يشكل نقطة مفارقة بينهما، ففي رواية (القرية)، شكل تهديد حياة (تيخون) الإقطاعي من قبل الفلاحين السبب الرئيس لمغادرته (دورنوكا)، بينما في رواية (المذبذبون)، فالسبب الرئيس للرحيل عن

<sup>1</sup> : ينظر : معجم مصطلحات نقد الرواية: د. لطيف زيتوني، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص22.

<sup>2</sup> : المذبذبون: زرزور، ص248.

القرية هو بحث الفلاح عن سبل أخرى للكسب والرزق، لتحرير الأراضي وإنقاذها من قبضة الإقطاعي، وهنا يقدم الكاتب السوري صورة تمسك الفلاح بأرضه التي تعني له الوجود، والانتماء، فهي المعادل الموضوعي لوجوده، وخارجها يهيم في الفراغ، في عالم مجهول يطمس هويته، ويلغي آدميته!

### أوجه التشابه والاختلاف فنياً:

#### أ: نقاط التشابه الفني:

1- الزمن: تدور أحداث الروايتين في فترة زمنية تعج بالاضطرابات، فرواية (القرية) تشير إلى زمن الثورة الروسية عام 1905م، وتشير رواية (المذنبون) إلى زمن الانقلاب العسكري الذي وصل من خلاله الشيشكلي إلى السلطة عام 1952م، وقد ابتعد الكاتبان عن سرد الأحداث بشكل متسلسل، واعتمدا النسق الزمني المنقطع، ففي الروايتين تبدأ الأحداث من نقطة معينة في زمن الحاضر، ثم ينتقل الكاتب إلى ذكر أحداث سابقة، مستخدماً تقنية الاسترجاع أي "مخالفة لسير السرد تقوم على عودة الراوي إلى حدث سابق"<sup>1</sup>، ثم يعود إلى الحاضر، وقد تكرر أسلوب الاسترجاع في نقاط متعددة من الروايتين، ويفيد الاسترجاع في سرد حوادث جرت عند غياب الشخصية عن السرد، كما تفيد في إخبار القارئ بما جرى في الماضي من أسباب، وتوضيح النتائج التي في زمن الحاضر<sup>2</sup>، كما استخدم الاستشراف لأمر مستقبلية، تنبئ بها توقعات سير الأحداث، وتهيئ هذه التقنية المتلقي لاستقبال التغيرات القادمة، وتشوقه لمعرفة ما سيحدث، فيتخذ شكل حلم كاشف للغيب، أو تنبؤ، أو افتراضات بشأن المستقبل<sup>3</sup>، كما في تخطيط (تيخون) للرحيل عن (دورنوفكا)، "سنلقي الحمل عن أكتافنا، ونصل، بإذن الله إلى المدينة، -نعمل في مستودع حبوب"<sup>4</sup>، وكذلك في تنبئه بعودة العامل عند اشتداد الشتاء "حين يحل الشتاء ستطلب الطعام يا صاحبي، -وستأتي، يا ابن الكلب، ستأتي وستحني أمامي!"<sup>5</sup>. وفي صحة تنبؤات المخترار حول الوضع الصحي ل(صالح الذياب).

2- المكان: اختار كل من الكاتبين البيئة القروية مكاناً لأحداث روايته، فتشابهت الأمكنة المكونة الفضاء المكاني للروايتين، وشكلت ثنائيات متقاطبة، يمكن تصنيفها بالاعتماد على دراسة (يوري لوتمان)، إذ عبرت هذه الثنائيات الضدية عن العلاقات والتوترات التي تحدث عند اتصال الراوي أو الشخصيات بأماكن الأحداث، ومن هذه الثنائيات: الأعلى/الأسفل، القريب/البعيد، المفتوح/المغلق...، كلها ثنائيات أصبحت أدوات لبناء النماذج الثقافية من دون أن تظهر عليها أية صفة مكانية.<sup>6</sup> فوفقاً لهذه التقاطبات تنتوع الأمكنة في الروايتين ما بين أمكنة مفتوحة مثل: الساحة، الحقول، الطرق، القرية، المدينة، وكذلك تشابه الأمكنة المغلقة مثل: البيت، الدكان، والحظيرة، وغيرها.

وقد عمد الكاتبان إلى الإحاطة بكامل مكونات البيئة المكانية وجعلها مسرحاً تنتقل فيه الشخصيات، وهذه الأمكنة لم تكن مجرد بناء هندسي يحيطه الكاتبان بالوصف الشكلي الخارجي، بل جعلها مرتبطاً بالشخصيات وبحالتها النفسية الشعورية، فالبيت مثلاً لدى الكاتبين يشكل مكاناً يجرد الإنسان من صورته التي يظهرها أمام الآخرين، فمجرد دخول الشخصية إلى داخل البيت تتبدى صفاتها المخفية، وتتعرى مشاعر الخوف والقلق والضعف الذي يجهد المرء عادة في

1 : معجم مصطلحات نقد الرواية: د. لطيف زيتوني، ص 18.

2 : ينظر: المصدر السابق، ص 18.

3 : ينظر: المصدر السابق، ص 15.

4 : القرية: بونين، تر: د. فؤاد مرعي، ص 225.

5 : المصدر السابق، ص 83.

6 : ينظر: شعرية الخطاب السردية: محمد عزام، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005، ص 66-67.

إخفائها، "فالبيت أكثر من منظر طبيعي، إذ هو حالة نفسية"<sup>1</sup>، وهو ما تمثل واضحاً لدى شخصيات متنوعة في الروايتين، مثل (نستاسيا) التي تعمل بنشاط في الدكان نهاراً، لكنها في الليل "تصلي في السر، وتبكي في السر، وتثير الشفقة..."<sup>2</sup>، والمشهد نفسه يتكرر في رواية (المذنبون)، ف(جدعان) يصارع نهاراً ضغوط الحياة التي تكاثرت على كتفيه، من تسلط البنيك على أرضه، وقسوة الطبيعة التي لا تجود بمائها فيحرق أرضه، ولاحقاً مرض أخته وجمودها الغامض، يتحمل ظلم الآخرين، لكنه في المساء يدخل منزله، ويجلس إلى جانب أخته على ضوء السراج، ويضع رأسه بين يديه، مستسلماً لكآبة مريرة، وحزن عميق يعصف بكيانه، وكذلك طوع الكاتبان الأمكنة بشكل متماهٍ مع الحالة الشعورية للشخصيات، فتعبر الأمكنة المغلقة عن حالات الضيق التي تمر بها الشخصية، بينما الأمكنة المفتوحة تحرر تلك الشخصيات من هذا الشعور، فانقلباها من المكان المغلق إلى المكان المفتوح، كالطريق أو الحقل أو الغابة، ما هو إلا هروب من حالة شعورية ضاغطة إلى آخر يبعث الراحة والسكون، كما في مرور (تيخون) بالغابة في أثناء عودته من المدينة، وخروج (صالح الذياب) بعد مرضه الغريب إلى حقله مبتعداً عن كل المشكلات التي تعصف في منزله، وداخل نفسه. وكذلك تتشابه نظرة الكاتبين إلى الأمكنة فقد جعلوا المدينة، مكاناً بعيداً عن الشخصيات، فهي أرض الأحلام التي يتمنون الوصول إليها. ومن نقاط التشابه أيضاً الصورة التي رسم بها الكاتبان ملامح القرية، فالقرية تمثل مكاناً منخفضاً في الروايتين، بينما تمثل المدينة المكان المرتفع، فقرية (دورنوفكا) "قائمة على قرن شيطان: وادٍ عريض، على إحدى خاصرتيه أكوخ الفلاحين، وعلى الأخرى عزبة صغيرة"<sup>3</sup>، وكذلك قرية (الصيرة) "تقع في منخفض من الأرض بين ثلاثة سهول، وتعد جزءاً لا يتجزأ من أراضي (اللجاة) الشديدة الوعورة"<sup>4</sup>. من خلال هذه الأمكنة تتبين رغبة الكاتبين في استكمال بناء عالم الشخصيات وربطه بالأمكنة المتنوعة على امتداد الروايتين، فحضور المكان فيهما لم يكن منظراً أو إطاراً خارجياً يحيط بالأحداث، بل شكلاً جزءاً أساسياً في تكوين شخصية وبنائها الداخلي، فيسقط مشاعرها على الطبيعة المحيطة، ويلون الشخصية بتقلبات الطبيعة وتنوع الأمكنة.

**3- السرد:** عرض الكاتبان ملامح الشخصيات ضمن إطار النسيج الروائي، ورصداً حركتها وتقلباتها ونمط تفكيرها، ووصفاها داخلياً وخارجياً، فجعلوا المتلقي يتابع ملامح تطورها ونموها فكرياً، من خلال تعقد الأحداث وتشابكها، ومن خلال ما مرت به من تجارب، ما ساهم في تشكيل عالم الوعي والأفكار الخاص بكل منها، واستخدم الكاتبان نمط الراوي العالم بكل شيء، إذ يظهر الراوي متابعاً عالم الشخصية الداخلي، قارئاً ما يختلج في ذاتها من مشاعر وأحاسيس وأفكار، ومحيطاً بعالمها الخارجي، فيسرد ما يمر بها من أحداث، ويفسر ويشرح ويعلق، ونظراً لتعدد وجهات نظر الشخصيات وآرائها، فالروايتان من نمط الرواية متعددة الأصوات.

ومنه يكون السرد في روايتي (القرية) و(المذنبون): سرداً لاحقاً، موضوعياً، لأن الأحداث وقعت أولاً وانتهت، وعرض السارد النهائية ثم عاد إلى البداية للشرح والتوضيح، ومنه فالسرد لاحق لوقوع الحدث. فالرواية تمت من خلف الأحداث، والتبئير من الدرجة صفر.

<sup>1</sup> :جماليات المكان: غاستون باشلار، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1984، ص86.

<sup>2</sup> : القرية: بونين، تر: د.فؤاد مرعي، ص26.

<sup>3</sup> : المصدر السابق، ص51.

<sup>4</sup> : المذنبون: زرزور، ص12.

## اللغة والحوار: أ: اللغة:

تبرز أهمية اللغة في أي نص أدبي بوصفها أداة لنقل الأفكار، ووسيلةً يعبر من خلالها الراوي، عن أفكار شخصياتها، كما تعبر عن ذات الكاتب وسعة ثقافته، وقدرته على تطوير مفرداتها لتضمين الرؤى التي يهدف إلى تقديمها من خلال عمله الأدبي. فاللغة "وسيط يقوم بتثبيت مفردات الدلالة وبناء الهيكل المعنى الكلي للنص، وتنظيم عمليات التصوير والرمز"<sup>1</sup>، وسرد الأحداث ونقل الأفكار، عبر الوصف والحوار بين الشخصيات يحتاج اللغة التي تسبر الأعماق، وتلامس الحقائق، وتكشف الغموض، وتحرض الخيال، ما يحقق المتعة والترابط والفائدة.

وقد تميزت رواية (القرية) بتنوعها اللغوي الذي يظهر في لغة السرد والحوارات، وساهم هذا التنوع اللغوي في تقديم المستويات الفكرية والثقافية المتنوعة لدى الشخصيات، وقد تمكن (بونين) من تسخير اللغة للتماهي مع الشخصيات، فلا تعدو أكبر من مستوى وعيها، ولا أعلى من قدراتها اللغوية المتناسبة مع نمط حياتها، ف(تيخون) شخصية إقطاعية، ذات النشأة الفقيرة في بيئة قروية جاءت لغته وكلامه متناسباً مع طبيعة شخصيته، فهو لم يدخل مدرسة، ولم يتلق تعليماً حقيقياً، ولذلك فلغته قروية بسيطة، بعيدة عن التعقيد، تملؤها المصطلحات التجارية، والكلمات الريفية، أما لغة (كوزما) فتمثل لغة الشخصية المثقفة في الرواية. وهذا يتناسب مع شخصيته، فهو متعلم، ويحبّ المطالعة والقراءة، وكتابة الشعر.

كما مالت الألفاظ والمفردات في النصين السرديين إلى استلهاهم مفردات الفلاحين وأسلوبهم في الكلام والحديث، مثل: الحقول، والحوال، الفلاح، القمح، الخيل، الحظائر، الأمطار، الثلوج، البيادر، الأدغال...، وكذلك في رواية (المذنبون) استلهم الكاتب مفرداته من واقع البيئة الفلاحية ومكوناتها، مثل: التراب، الحجارة، المحراث، الحمار، الغيوم، الأرض...، كما عبر من خلال اللغة عن المستوى المعرفي المتدني لسكان (الصيرة)، وعن الجهل المتقشي بينهم. ولم يفت الكاتبان تضمين نصيهما بالحكم والأمثال الشعبية، ما زادهما غنى بالموروث الشعبي، وقربهما من الواقعية، لارتباط النصين السرديين بنمط الحياة القروي وتشعبهما منه واستقائهما من عناصر طبيعته، وهنا يمكن ملاحظة تنوع هذا الموروث الشعبي الذي أثرى لغة السرد، فجاءت مرتبطة بمفردات البيئة ومصبوغة بها، "العشبة الضعيفة لا مكان لها في الحقل"<sup>2</sup> وفي (المذنبون) "أصبح للخنفس ذيل"<sup>3</sup>.

ومن المظاهر اللغوية التي تصادف المتلقي في عملي (بونين) و(زرور) بشكل واضح وأساسي ما بات يُعرف في النقد الحديث بالتناص، وهو "أحد مميزات النص الأساسية، والتي تحيل على نصوص أخرى سابقة عنها، أو معاصرة لها"<sup>4</sup> فقد تعددت أنواعه في النصين الأدبيين، كالتناص الأدبي والشعبي، والديني الذي يظهر في نقاط عديدة في الروايتين، وبشكل خاص في حوارات (كوزما) مع أخيه (تيخون)، لما حملته تلك الحوارات من بعد ديني وفلسفي، كما تشكلت خط الوعي عبر النص السردية. فتضمنت أحاديث (كوزما) أفعالاً نسبها إلى الكتب المقدسة، "الحق أنها فوضى إنسانية، الحياة ليست سوى وهم وسراب. عبثاً يجهد ابن الأرض نفسه، فالكتاب المقدس يقول: حين نملك العالم نسكن

<sup>1</sup>: بلاغة الخطاب وعلم النص: د. صلاح فضل، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 164، 1992، ص 270.

<sup>2</sup>: القرية: بونين، تر: د. فؤاد مرعي، ص 27.

<sup>3</sup>: المذنبون: زرور، ص 77.

<sup>4</sup>: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة: د. سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، ط1، 1985، ص 215.

القبر، حيث يتجاوز القيصر والفقير...<sup>1</sup>. وكذلك ظهر التناص الديني لدى (زرزور) في نصه السردي فقد جرى ضمن حوارات (الشيخ عبد الغفور)، و(الفقير)، و(المعلم)، فالشيخ (عبد الغفور) مضى من ساحة صلاة الاستسقاء غاضباً، متعوذاً "قل أعوذ برب الفلق، قل هو الله أحد"<sup>2</sup>.

ب: الحوار: لقد سخر الكاتبان اللغة في حوارات الشخصيات، ونوعاً في أساليب الحوار، فجاء على هيئة مونولوج (حوار داخلي)، في لحظات استكشاف الشخصية أعماقها الذاتية، كما استخدم الحوار الخارجي بين الشخصيات لنقل أفكارها والتعبير عن معتقداتها، وتتكشف الفروقات بين أنماط الشخصيات على مستوى النص السردي. كما في التباين الواضح بين شخصيتي (تيخون) و(كوزما)، الذي تكشف في أثناء الحديث الذي دار بينهما في لقائهما الأول بعد فرقة طويلة، "أنا لو تعلم، فوضوي... رفع تيخون إيليتش حاجبيه دهشة. -لا تخف. أنا لا أعمل في السياسة. ولكن الإنسان حر بأفكاره. وهذا لن يسبب لك أي أذى. سأدير الأمور إدارة سليمة، ولكني، أقول بصراحة، لن أسلخ جلد أحد."<sup>3</sup>، واعتمد كذلك (زرزور) الحوار للكشف عن طبائع شخصياته، ونقل أفكارها، ومشاعرها، مستخدماً الحوار بنوعيه: الداخلي والخارجي، فجاءت الجمل والعبارات متناسبة مع نمط شخصياته، ومستواها المعرفي، ودرجة وعيها، لذلك نوع بين الفصيح البسيط، والعامي الدارج، حتى يتمكن من تقديم صورة أقرب ما تكون للواقع والحقيقة. وأيضاً الحوار بين (جدعان) والمختار (الشيخ نواف): "لا يمكنها أن تنطق وهي على هذا الشكل./ -ماذا نفعل إذن؟ تفضل أنت وأرنا شطارتك."<sup>4</sup>

وكذلك الوصف فقد شغل المساحات الأكبر على مستوى النصين السريين، إلا أنه لم يكن عبثياً؛ بل متعلقاً بهيئة المشهد ومكان حدوثه، ومكماً للوحة التي يقدمها الكاتب لتوضيح الجو العام للأحداث، فيصف الكاتبان الشخصيات وصفاً داخلياً وخارجياً، فيرسم ملامحها في ذهن قارئه، ويصف الطبيعة ليرسم صورة الجو العام لبيئته المكانية، ويصف الأحياء الصغيرة ليكمل رسم مسرح الحدث الذي تدور فيه مجريات الأحداث، فيغدو هذا الوصف أداة الكاتب ليلم بأبعاد الحدث والشخصيات، "وانتحي زاوية من المكان يحبس رأسه بين كفيه ويعصره بأسى وألم بالعين. وتراقصت زبالة السراج، ومطت لسانها إلى الأعلى باحثةً عن شيء تعلقه بلسانها المتفحم، تكاد تنفصل عن السراج ونقلت وحدها هائمةً شاردةً في فضاء الكون، وتلحق بالمختار لتعقسه بلحيته الصفراء..<sup>5</sup>، فالوصف هنا نقل مشاعر الحزن والانكسار والقهر التي تختلج في صدر (جدعان)، الذي أنهكته المصائب المتتالية، وجاء وصفه للمصباح بشعلته التي أصبحت على هيئة كائن يريد الانتقام من ظالميه، فيتماهى الجماد مع أحاسيس (جدعان)، ويسقط الوصف تلك المشاعر على الجمادات المحيطة، فيؤنسها لتشارك الشخصية في عذابها ومعاناتها، وبذلك تظهر روعة الصور الفنية المتضافرة مع مفردات اللغة، الممزوجة بخليط من المشاعر المتناقضة، يقدم من خلالها الكاتب صورة تمثل عمق المعاناة، وقد خدم الوصف الإفصاح عن هذه العواطف.

فالكاتبان اعتمدا الحوار والوصف مستخدمين لغة تتناسب مع البيئة التي اختارها كل منهما مسرحاً لروايتيهما.

<sup>1</sup> : القرية: بونين، تر: د. فؤاد مرعي، ص 231.

<sup>2</sup> : المذنبون: زرزور، ص 67.

<sup>3</sup> : القرية: بونين، تر: د. فؤاد مرعي، ص 60.

<sup>4</sup> : المذنبون: زرزور، ص 125.

<sup>5</sup> :المصدر السابق، ص 126.

**نقاط الاختلاف الفني:**

- 1- **الفكرة:** تدور أحداث الروايتين في بيئة قروية، فيصف الكاتبان معاناة الإنسان فيها وسط الضغوط الاجتماعية والاقتصادية القاهرة، إلا أن الكاتبين يفترقان في جانب القضية الرئيسة التي يركز كل منها عليها في روايته؛ ف(بونين) جعل مظاهر المعاناة، بؤرة أساسية في نصه، وأرجع سبب المعاناة للظروف الضاغطة التي تعصف بالإنسان في فترة مليئة بالاضطراب السياسي والاقتصادي والانقسام الاجتماعي، وجعل تقاعس الفلاحين عن أعمالهم وإهمالهم لها سبباً لتردي أحوالهم المعيشية، بينما ركز (زرور) على الجانب النفسي للشخصيات في نصه، وأرجع سبب المعاناة إلى تقاعس الفلاحين، وتنافرهم، وتباغضهم، واقترافهم الذنوب ما استوجب حلول هذه المعاناة عليهم. كما أن (بونين) يسرد أحداث روايته من منظور الإقطاعي، موضحاً أن قسوة الظروف لم ترحم أحداً بل كانت شاملةً لجميع أفراد المجتمع، بينما يصور (زرور) أحداث روايته من منظور الفلاح الذي تسحقه الظروف التي مرت به.
- 2- **الشخصيات:** تشابهت الشخصيات في نقاط عديدة لدى الكاتبين، وقد اختلفت في نقاط أخرى، فشخصيتا (تيخون) و(كوزما): شخصيتان رئيستان تنهضان بالأحداث في رواية (القرية)، تمثلان الطبقة الإقطاعية، بينما تشكل شخصية الإقطاعي في (المذنبون) مثل (شوكت بك) شخصية ثانوية لم تظهر أبداً خلال سير الأحداث، بل ألفت ظلها على كامل الرواية من دون أن يكون لها تجسيد وظهور فعليان.
- 3- **الزمن:** ظهر النسق الزمني المنقطع في الروايتين، وكذلك تجلت التقنيات الزمنية ذاتها، من استرجاع واستشراف، وخلاصة وحذف، إلا أن أسلوب كل منهما في استخدام هذه التقنيات شكل فارقاً بين العملين الأدبيين؛ ف(بونين) بدأ الرواية بتقديم خلاصة لتاريخ عائلة (كراسوف) يشكل ماضي هذه العائلة وتعريفها بها، ثم انتقل إلى التفصيل في حياة (تيخون) وعمله، والمشكلات التي واجهته، وصولاً إلى لحظة كتابة رسالة إلى أخيه (كوزما) لاستدعائه للعمل معه، ثم انتقل إلى الماضي مرة أخرى للعودة إلى ماضي حياة (كوزما) وطفولته، ويتقدم نحو الزمن الحاضر، حتى لحظة تسلمه رسالة (تيخون)، وفي الفصل الأخير يكمل الكاتب الأحداث في حياة الأخوين معاً. بينما في (المذنبون) يبدو النسق الزمني المنقطع أكثر تعقيداً؛ فالأحداث تبدأ من الذروة، ووصول الدرك، واستدعاء (جدعان) إلى ما سماه الكاتب يوم الحساب، بعد المشاجرة التي وقعت بينه وبين بيت عمه، ثم يعود الكاتب في الجزء الثالث ليفصل في بداية القضية وأسبابها، ويستمر حتى نهاية الجزء الثالث عشر، ثم يعود في الجزء التالي ليكمل بقية الأحداث المتممة للجزء الثاني، ما شكل صعوبة في تتبع سير الحدث الروائي<sup>1</sup>.
- 4- **المكان:** شكلت القرية بمظاهرها المتنوعة بيئة مكانية واسعة متشابهة، لكن نظراً لاختلاف المظاهر الطبيعية بين البيئتين المرصودتين، يمكن ملاحظة سمات مختلفة بينهما؛ فالطبيعة في القرية الروسية غابات خضراء، حقول واسعة، ومسافات شاسعة، كما ظهرت الطبيعة معطاءة كثيرة المطر والتلج، على عكس الطبيعة التي وصفها (زرور) في روايته، فالقرية صغيرة، حقولها خاوية، وأرضها قاحلة، وسماؤها لا تمطر. فتقف أمام مخيلة القارئ صورة (دورنوفكا) البيضاء المغطاة بالثلوج مقابل صورة (الصيرة) ذات الحجارة السوداء. ومن المفارقات أيضاً، في (القرية) شكلت المدينة مكاناً بعيداً جغرافياً، لكنه قريب نفسياً بالنسبة إلى الشخصيات، أما في (المذنبون) فالمدينة تشكل مكاناً بعيداً جغرافياً، ونفسياً، إذ يشعر الفلاح بغربة شديدة في المدينة.

<sup>1</sup> ينظر: فارس زرور، العصيان والهجرة المضادة: عبد الرحمن الحلبي، ص 53.

**5- السرد:** بدت اللغة في رواية (القرية) أكثر غنى وكثافة لغوية، لما تضمنته من صور، وإيحاءات، ودلالات، فهي لغة مشبعة بالرموز التي يمكن للمتلقي تتبعها، فيما افتقرت رواية (المذنبون) إلى تلك الطاقات الدلالية لغوياً، على الرغم من تضمينها بعض الإشارات والدلالات، لكنها بقيت أقل كثافة مما يوجد في رواية (القرية). وكذلك يظهر التفاوت الأسلوبي لدى (زرزور) و(بونين)، إذ ظهر في النص السردي بلسان الراوي لا الشخصيات، كما في وصف جلوس (فرحة)، "في حين تدلى رأسها بين ساعديها مائلاً نحو السراج يراقب النور بتوجس، كرأس (أحدب نوتردام) وهو يراقب المقصلة"<sup>1</sup>، وفي وصف صورة الصبية المجتمعين في دار (صالح الذياب) على لسان الراوي أيضاً، "حفاة عراة ما اغتذوا ولا عرفوا"<sup>2</sup>، وهو جزء من بيت شعر للحطيئة، وغيرها.. وقد بدا هذا الأسلوب غير متجانس مع مستوى تفكير الشخصية ومعرفتها، فهي شخصيات جاهلة وغير متعلمة، وهذه التعليقات والاستنتاجات تتطلب شخصيات على مستوى أكبر وأعلى من المعرفة الثقافية، أما تعليقات الراوي فلا تتناسب مع سمة المعرفة المحدودة التي اتسمت بها شخصية (جدعان) ولا غيره من سكان القرية، ما أصاب النص السردي بمواطن خلل تتركز في تدخلات الراوي غير المبررة تعليقاً وشرحاً<sup>3</sup>، فيما بدا (بونين) أقدر على استخدام أدواته الفنية، فالأسلوب الأدبي عنده جاء مناسباً لشخصية (كوزما)، الشخصية المثقفة، فهو يكتب الشعر، ودائم القراءة والاطلاع. وهذا يعكس الخبرة، والقدرة الإبداعية لدى (بونين) في استخدام الأساليب اللغوية، ودمجها في جسد النص.

**6- نهاية النص السردي:** على الرغم من اختيار كل من الكاتبين نمط النهاية المفتوحة، إلا أن (بونين) ترك المجال مفتوحاً أمام التوقعات المختلفة، فرحيل (تيخون) و(كوزما)، مخطط له إلا أنه لم يتحقق بعد، ومصير العروس، التي تتضمن دلالة رمزية ل(روسيا) ما بعد الثورة، ما زال غامضاً.

بينما الشخصيات في نهاية رواية (المذنبون) رحلت فعلاً، ومصير الفلاحين في المدينة يتبدى من خلال رمزية المفردات التي حملتها كلمات (جدعان) في الختام. ومن المفارقات التي يمكن رصدها بين الروائيتين؛ أن رواية (القرية) بدأت بالخلاف الذي فرق الأخوين، وانتهت بالصلح بينهما واجتماعهما، والتمام شملهما بعد فرقة طويلة، بينما بدأ (زرزور) روايته بمشهد أسرة مجتمعة، وانتهى النص السردي بزواج (جدعان) وهجرته مع زوجته، وزواج (فرحة) ورحيلها مع (قاسم)، وبقاء الأم (مزنه) وحيدة في القرية، وهي تمثل الجيل القديم المتمسك بالأرض، وبهذا تشتت الأسرة بحثاً عن سبل الحياة.

### الاستنتاجات والتوصيات

بعد الوقوف على أبرز نقاط التشابه والاختلاف تخلص هذه الدراسة المقارنة إلى مجموعة من النتائج على الجانبين الفكري والفني، وهي:

<sup>1</sup> : المذنبون: زرزور، ص115.

<sup>2</sup> :المصدر السابق، ص66.

<sup>3</sup> : ينظر: وقائع الندوة التكرمية للمبدع الراحل فارس زرزور: أ. نزيه الخوري، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2012، ص126.

- 1- تناولت الروايتان القضايا المجتمعية التي سادت وانتشرت في فترتين متشابهتين في صفاتهما، فالمجتمعان الروسي والسوري عصفت بهما حينها رياح التغيير السياسي والاجتماعي والاقتصادي، ما جعل معاناة الإنسان فيهما متشابهة إلى حد كبير في ملامحها.
- 2- ركزت الروايتان في مضمونهما على معاناة الإنسان (الفلاح) ضمن البيئة القروية، فجاءت أشكال المعاناة متقاربة إلى حد كبير على الجانبين الاجتماعي والاقتصادي، حيث انتشر التنافر، والفقر، والجهل.
- 3- إن صعوبة الظروف في تلك الفترة الضاغطة، والاضطراب الذي عمّ في نواحي الحياة جميعها، ولدت حالات من القهر والاستلاب والضياع، وكانت هذه السمات هي سمات الإنسان بشكل عام، وسكان القرى والضيع بشكل خاص.
- 4- تهميش المرأة، وتعرضها للظلم شكل سمة بارزة لصورة المرأة القروية، في المجتمعين الروسي والسوري.
- 5- تكشف نقاط التشابه في الجانب الفكري، من خلال صور الصراع المتنوعة التي تقاربت بشكل كبير في العملين الأدبيين، تكشف التقارب الفكري، وتشابه الرؤى الفكرية التي وجهت الأدباء آنذاك في ظل تلك الظروف.
- 6- إن اختيار الكاتبين المذهب الواقعي في عمليهما الأدبيين ساهم في خدمة الفكرة والموضوع المراد عرضه، فالإتجاه الواقعي يثبت تفوقه في قدرته على الغوص في أعماق المجتمعات، واستخراج قضاياها ومشكلاتها إلى السطح، ثم يناقش تلك القضايا بموضوعية، محاولاً إيجاد الحلول، بعيداً عن الأحلام التي اتسمت بها الإتجاهات والمذاهب الأخرى.
- 7- أما في الجانب الفني من هذه الدراسة؛ فيمكن ملاحظة أن البناء الفني للرواية الروسية بد أكثر نضجاً، وتماسكاً من البناء الفني للرواية السورية التي كانت تمر في مرحلة التجريب، وتخطو في مجال الإتجاه الواقعي للأدب خطواتها الأولى، فكان تُعثرُ الأديب السوري حيناً، وكبوته حيناً آخر من ناحية استخدام التقنيات السردية، أمراً طبيعياً.

## Reference

- 1- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة: د. سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1985.
- 1- Dictionary of Contemporary Literary Terms: Dr. Said Alloush, The Lebanese Book House, Beirut, 1, 1985.
- 2- معجم مصطلحات نقد الرواية: د. لطيف زيتوني، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2002م.
- 2-A Dictionary of Novel Criticism Terms: Dr. Latif Zitouni, Dar Al-Nahar Publishing, Beirut, Lebanon, 1, 2002 AD.
- 3- بلاغة الخطاب وعلم النص: د. صلاح فضل، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 164، 1992.
- 3-The rhetoric of discourse and text science: Dr. Salah Fadl, The World of Knowledge, The National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait, Issue 164, 1992.
- 4- جماليات المكان: غاستون باشلار، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1984.
- 4- Aesthetics of the place: Gaston Bachelard, TR: Ghaleb Hals, University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, Beirut, Lebanon, 2nd Edition, 1984.
- 5- الريف في الرواية العربية: د. محمد حسن عبد الله، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 143، 1989.
- 5- The countryside in the Arabic novel: Dr. Muhammad Hassan Abdullah, The World of Knowledge, The National Council for Culture, Arts and Letters, Issue 143, Kuwait, 1989.

- 6- شعريّة الخطاب السردّي: محمد عزام، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005.
- 6- The Poetics of Narrative Discourse: Muhammad Azzam, Arab Writers Union Publications, Damascus, 2005.
- 7- فارس زرزور، العصيان والهجرة المضادة: عبد الرحمن الحلبي، الأمانة العامة لاحتفالية دمشق عاصمة الثقافة العربية، 2008.
- 7- Faris Zarzour, Disobedience and Counter-Immigration: Abd al-Rahman al-Halabi, General Secretariat of the Celebration of Damascus, Capital of Arab Culture, 2008.
- 8- القرية : ايفان ألكسييفيتش بونين، تر: د. فؤاد مرعي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ط1، 2011.
- 8- The village: Ivan Alekseevich Bunin, tr: d. Fouad Marei, Publications of the Syrian General Book Organization, Ministry of Culture, Damascus,1, 2011.
- 9- المذنبون: فارس زرزور، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1974.
- 9- Sinners: Fares Zarzour, Publications of the Arab Writers Union, Damascus, 1974.
- 10- وقائع الندوة التكريمية للمبدع الراحل فارس زرزور: أ. نزيه الخوري، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2012.
- 10- Proceedings of the honoring symposium for the late creator Fares Zarzour: a. Nazih Al-Khoury, Publications of the Syrian General Book Organization, Ministry of Culture, Damascus, 2012.